بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة الجمعة في المسجد النبوي بالمدينة النبوية

لفضيلة الشيخ : علي الحذيفي

بتاريخ : ١٤- ٦-١٤٢٣هـ

والتي تحدث فيها فضيلته عن : الدعوة إلى الله تعالى

الحمد لله البر الرحيم يدعوا إلى دار السلام، ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، أحمد ربي سبحانه وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره، وأثني عليه الخير كله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، العلي العظيم، وأشهد أن نبينا وسيدنا محمدًا عبده ورسوله، دعا إلى الله على بصيرة وجاهد في الله حق جهاده، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه صلاة وسلاما كثيرًا.

أما بعد: فاتقوا الله أيها المؤمنون، وأطيعوا الله ورسوله لعلكم تفلحون.

واعلموا -عباد الله- أن أعظمَ نعمةٍ أنعم الله بها على العباد وأكبرَ منّة يمُنُّ الله بها على من يشاء هي ما بعث الله به رسولَه محمداً ﷺ، من العلم النافع والعمل الصالح، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءايَـٰتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران:١٦٤]، ويقول تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَـٰنِ إِنْ كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [الحجرات:١٧]، ويقول عز وجل: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنْكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ آيَـٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ۝ فَٱذْكُرُونِى أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة:١٥١، ١٥٢]، ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران:١٠١].

فمن أخذَ بما بعث الله به رسولَه محمداً ﷺ وتمسَّك به فقد جمع الله له خيرَي الدنيا والآخرة، ومن حُرِم ذلك والعياذ بالله فقد أحاطَ به الشقاء، ونزلَ به البلاء، ولا ينفعه ما نال من الحظوظ، ولا يُجزي عليه شيئاً ما تمتَّع به من الملذَّات، قال الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ ۝ أُولَـٰئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلآخِرَةِ إِلاَّ ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [هود:١٥، ١٦]، وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: ((يُؤتى بأنعم أهل الدنيا فيُصبغ في النار ويُقال له: هل رأيت نعيماً قط؟ فيقول: لا والله، ما رأيت نعيماً قط. ويُؤتى بأشدِّ الناس بؤساً في الدنيا فيصبَغ في الجنة مرة ويقال له: هل رأيت بؤساً قط؟ فيقول: لا والله، ما رأيت بؤسا قط)).

أيها المسلمون، إن نعمةَ الحق التي حباكم الله بها ونعمةَ الدين التي منّ الله بها عليكم لا تكتمل ولا تتمّ إلا بالدعوة إلى الله على بصيرة، ولا يبلغ المسلم الدرجةَ العالية إلا بالدعوة إلى الإسلام والإيمان.

وقد قدَّم الربُّ تبارك وتعالى الدعوةَ على الاستقامة لعِظَم مكانةِ الدعوة وجميل أثرها، وعموم نفعها للعباد

والبلاد، قال الله تعالى: ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَقُلْ ءامَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لاَ حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [الشورى:١٥].

ففي هذه الآية المباركة جعل الله تكاليفَ الإسلام وواجباته نصفين: قسماً جعله الله استقامةً وصلاحَ نفس وصلاحَ حال، وقسماً آخر دعوةً للناس وإحساناً إليهم، ببيان الحق من الباطل، والخير من الشر، والتوحيد من الشرك، وقد بدأ الله بالدعوة إلى الإسلام بنفسه، وكفى بالدعوة إلى الله شرفا أن يبدأ الله تعالى بدعوة الخلق إلى الدين الحق بنفسه قال تعالى: ﴿يأَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة:٢٠٨]، ومعنى الآية: ادخلوا في الإسلام كلِّه، واعملوا بدين الله، ولا تتركوا منه شيئاً، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلاَمِ وَيَهْدِى مَن يَشَاء إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [يونس:٢٥]، ويقول عز وجل: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُواْ إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة:٢٢١].

والدعوةُ إلى الله تعالى سبيلُ الأنبياء والمرسلين وغاية قصدهم ومنتهى أملهم وأساس عملهم، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَوٰةِ وَإِيتَاء الزَّكَوٰةِ وَكَانُواْ لَنَا عَابِدِينَ﴾ [الأنبياء:٧٣].

وقد قصَّ الله علينا في كتابه من أنباء الدعاة إلى الله، الذين خالطت بشاشةُ الإيمان قلوبَهم من أنباء الماضين ما هو مثلٌ يُحتذَى وطريقةٌ مُثلى، فهذا مؤمن آل فرعون قال الله تعالى عنه: ﴿وَقَالَ الَّذِى ءامَنَ يَقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر:٣٨]، وقال تعالى عن صاحب ياسين: ﴿وَجَاء مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَقَوْمِ اتَّبِعُواْ الْمُرْسَلِينَ ۞ اتَّبِعُواْ مَن لاَّ يَسْئَلُكُمْ أَجْراً وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [يس:٢٠، ٢١]، فقتلوه فقال تعالى عنه: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ۞ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ [يس:٢٦، ٢٧]، قال قتادة: "لا تلقى المؤمنَ إلا ناصحاً، لا تلقاه غاشاً، فانظر إلى هذا المؤمن كيف نصح لقومه في حياته وبعد مماته". وقد روى مسلم من حديث صهيب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قصةَ الغلام الذي كان في نجران ودعوتَه إلى الله، وأنه قال للملك: اجمعْ الناس في صعيدٍ واحد، وخذْ سهماً من كنانتي وارمني به، وقل: بسم الله ربِّ الغلام، فإنك إن فعلتَ ذلك قتلتَني، ففعل ذلك الملكُ فقتله، فقال الناس: آمنَّا بربِّ الغلام، وقد ذكَر الله تبارك وتعالى قصتهم في سورة البروج كاملة.

إن طبيعةَ الإيمان وميزتَه هي الانتشار والانطلاق والانتقال، فما أن يستقرَّ في قلبٍ حتى يأخذَ طريقَه إلى قلوب أخرى، ولا يكون في بلدٍ إلا انتقل إلى بلدان؛ لأن الإيمان كالنور والضياء يخترق حنادسَ الظلام، ولا يحصره مكان، وهو كالهواء لا يختصُّ بأحد دون أحد؛ لأن كلاًّ محتاجٌ إلى الإسلام والإيمان. والمرءُ إذا لم تنبسط أشعَّةُ الإيمان في قلبه وتنطلقْ إلى القلوب المحرومة والمنحرفة ولم يدعُ صاحبُه إلى الله تعالى فهو إيمانٌ قد دَبَّ الموتُ في فروعه، فقصَّر صاحبُه فيما فرض الله عليه. وانظرْ إلى مؤمني الجنِّ لمَّا آمنوا ولَّوا إلى قومهم منذرين دعاةً، وسيدُ المرسلين صلوات الله وسلامه عليه وخاتمُهم نبيُّنا محمد ﷺ قد بيَّن الله تعالى مهمَّته ووظيفتَه بقوله: ﴿يأَيُّهَا النَّبِىُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ۞ وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً﴾ [الأحزاب:٤٥، ٤٦]، وقد أمره الله تعالى أن يبين أن الدعوة إلى الله

على بصيرة هي سبيله وطريقه وطريقةُ الذين يتبعونه، قال تعالى: ﴿قُلْ هَـٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَىٰ ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ ٱللَّهِ وَمَا أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف:١٠٨]. وأمةُ رسول الله ﷺ هي خاتمة الأمم، ووارثة النبي ﷺ في الدعوة، قال الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران:١١٠]، وكان كلٌّ من السلف رضي الله عنهم من هذه الأمة داعياً إلى الله على بصيرة، حتى ملؤوا الأرض علماً ونوراً وهدىً ورحمة وصلاحاً وسلماً، فكان لهم من الثواب ما يجري إلى يوم القيامة كما قال رسول الله ﷺ: ((من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه إلى يوم القيامة، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الوزر مثل وزر من اتبعه، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء)). والرسول ﷺ كان إذا أرسل أُمَراءَهُ في البلدان يأمرُهم أولاً بالدعوة إلى الله تعالى، كما في الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ لما أرسل معاذاً إلى اليمن قال له: ((إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك في ذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة، تؤخذ من أغنيائهم وتردُّ على فقرائهم))، ويأمر أميرَ الغزو أولاً أن يدعو المحاربين أولاً إلى الإسلام؛ لأن هذه الأمة هي أمة الدعوة إلى الله، فإذا حفظت الدعوةَ حفظ الله لها دينَها ودنياها وآخرتَها، وإذا ضيَّعت الدعوةَ تعرَّضت للضياع في أمرها بمقدار ما ضيَّعت من أمر الله تبارك وتعالى.

وقد رفع الله منارَ الدعوة إلى الله عز وجل، وأنار سبيلَها، وأعلى درجةَ القائمين بها، وأحاطهم برحمته وتأييده، قال الله عز وجل: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَـٰلِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت:٣٣]، قال الحسن البصري رحمه الله: "هذا حبيب الله، هذا وليُّ الله، هذا صفوةُ الله، هذا خيرة الله، هذا أحبُّ أهلِ الأرض إلى الله، أجابَ اللهَ في دعوته، ودعا الناسَ إلى ما أجاب اللهَ فيه من دعوته، وعمل صالحاً في إجابته، وقال: إنني من المسلمين، هذا خليفةُ الله".

وقد بيَّن الله تعالى صفةَ الدعوة إليه لتعطي ثمارَها، وتُثبتَ جذورَها في القلوب، بأن تكون الدعوةُ بالإقناع والموعظة بالترغيب والترهيب، وبيان أدلة الحق، وهدم أدلة الباطل، قال الله عز وجل: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل:١٢٥].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، ونفعنا بهدي سيد المرسلين وقوله القويم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه فإنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له،

وأشهد أن نبينا وسيدنا محمداً عبده ورسوله، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه صلاةً وسلاماً أبداً.

أما بعد: فاتقوا الله عباد الله، وسارعوا إلى مرضاته، واعملوا بما أمركم به، وتفقَّهوا في دينكم، فإن من يرد الله به خيراً يفقِّهه في الدين.

وادعوا إلى الله على بصيرة، رجالُكم ونساؤكم كلٌّ حسَبَ استطاعته، وإياكم ومخالفةَ ما تدعون إليه من الخير، قال بعض السلف: من دعا إلى الله تعالى فعليه أن ينظر إلى هؤلاء الآيات الثلاث وأن يعمل بهن بنفسه: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:٤٤]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ [هود:٨٨]، وقوله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف:٢، ٣].

والدعوةُ إلى الإسلام هي بالبيان والحجة والإقناع، وما الجهادُ في سبيل الله إلا لأجل الدعوة إلى دينِ الله تعالى، فلا يُكرَه أحدٌ على الدين، ولا يُحال بين أحد وبين دين الحق، قال الله تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾ [البقرة:٢٥٦].

وكما تكون الدعوةُ بالقول، تكون كذلك بالفعل والقدوة الحسنة كما قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:٢١]. فإن الأفعال من أعظم الأسباب لدعوة الآخرين، وقد قال تعالى في بعض أهل النار فرعونَ وقومه: ﴿وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ [القصص:٤١]، فدعوتُهم إلى النار هي بأفعالهم، وقد قال النبي ﷺ لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ((لأن يهديَ الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حُمْرُ النعم)).

عباد الله، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٦].

فصلوا وسلموا على سيد الأولين والآخرين وإمام المرسلين.

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آله إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وسلم تسليماً كثيراً.

اللهم وارض عن الصحابة أجمعين...